حكايةُ السُّفُن عَبْر ألف عامٍ على طريق الحَرير البحْرِي

مُذَكِّرات رِحلة سفِينة التَّتويج

كتابٌ مُصوَّرٌ مَوسوعيٌّ للأطفال عن التَّاريخ والثَّقافة البحريَّة

بيانات الفهرسة أثناء النَّشر (CIP)
مُذكِّرات رحلة سفينة التَّتويج / بإشراف المُتحف البحري الصِّيني في شنغهاي؛ وإعداد شركة تونغتشيو للنَّشر المحدودة.
— بكين: دار الشَّعب للبريد والاتصالات، 2025م.
(حكايات «السُّفن» عبر ألف عامٍ على طريق الحرير البحري: موسوعة مصوَّرة للأطفال عن تاريخ الملاحة وثقافتها)
الرَّقم الدَّولي المعياري للكتاب: 2-733-495-614-978 ISBN

رئيس التَّحرير: المُتحف البحري الصِّيني في شنغهاي
المحرِّرة المسؤولة: تشاو تشيان
المحرِّر التَّنفيذي: وانغ خه
مسؤول الطِّباعة: شاو تشاو
تصميم الغلاف: هان موهوا
الإخراج والتَّنسيق: دوان فانغ
الإعداد: شركة تونغتشيو للنَّشر المحدودة
النَّاشر: دار الشَّعب للبريد والاتصالات
النسخة العربية: شركة المستقبل الرقمي

جميع الحقوق محفوظة، وتُلاحَق قانونيًّا أيُّ انتهاكاتٍ لها.

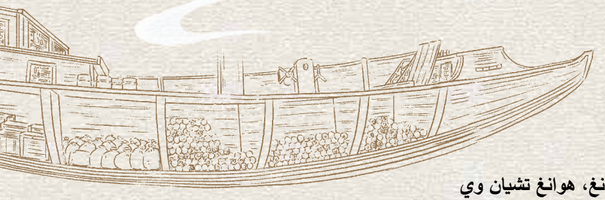

هيئة التَّحرير

المستشار: قاو منغ خه
الرَّئيس: تشاو فنغ
نائبا الرَّئيس: تسونغ جيان قوه، وانغ يو، لو وي، فو شياو
أعضاء هيئة التَّحرير: تسنغ لينغ سونغ، تشي يو قوه، شن تشيانغ، هوانغ تشيان وي

الكتَّاب:

يو يان يان، تشو شو، تشو تيان، وانغ لينغ لين، تشن شيويه بينغ،
سونغ كاي، بان دونغ يان، ليو دان دان، يانغ يانغ، شياو جيه،
لو جيا يو، تشانغ دو دو، جيانغ بو رن، تشو بين بينغ، جيانغ شياو هان،
تشو مين، دونغ ني، دو لي يه.

لجنة النَّشر

الرَّئيس: لي ون
نوَّاب الرَّئيس: ما جيا، شي يان، ليو يو يي

الأعضاء:

تشو شيو، داي دونغ مي، تشي جي، تشاو تشيان، سونغ فاي، رِن لي شين،
قوه دان دان، تشاو شياو نا، شين تشن يي، تشنغ منغ يو، وانغ خه، هو هوي،
لي ياو، وانغ بينغ، تشانغ فانغ، شانغ شيويه مين، سونغ جوان، وو مين،
شاو جيان نان، يه منغ جيا، تشاو يو هوا، وانغ تشوي تسه، وانغ يويه جينغ.

شكر وتقدير

اللَّجنة المتخصِّصة في نشر التُّراث الثَّقافي التَّابعة للجمعيَّة الصِّينيَّة للآثار الثَّقافيَّة.
مجموعة الصِّين للشَّحن البحري عبر المحيطات المحدودة.

المقدِّمة

تغطِّي المحيطات والبحار حوالي 70% من سطح كوكب الأرض؛ فهي مهدُ الحياة، والسَّبيل الأهم للبشريَّة لتوسيع آفاق العيشِ وتعزيز التَّواصل والتَّبادل بين الشُّعوب، وإن استكشاف الأُمَّة الصِّينيَّة للبحار يضرب بجذوره في أعماق التَّاريخ، حيث امتدَّ مسار تطوُّر صناعة بناء السُّفن في الصِّين القديمة لآلاف السِّنين، حاملًا بين طياتِّه فيضًا من الحكمة والأساطير الخالدة.

ومع مرور الزَّمان، دعونا نعود إلى العصور السَّحيقة قبل نحو 8000 عام، في ذلك الوقت، احتضنت تلك الأرض الشَّاسعة والمليئة بالحيويَّة عند المجرى السُّفلي لنهر اليانغتسي ثقافة (كواهوتشياو) الفريدة من نوعها، وفي قلب هذا الموقع الثَّقافي الغامِض، ظهر كشف أثري عظيم أذهل العالم ــ قارِب "كانو" (جذع مجوف) سليم ومكتمل! ويُعدُّ هذا القارِب أحد أقدم الشَّواهد المكتشَفة في تاريخ البشريَّة على المِلاحة البحريَّة المبكِّرة، ليروي في صمتٍ قصة شغف إنسان ذلك العصر البعيد واستكشافه للأنهار والبحار.

منذ عهد سلالتي "تشين" و"هان"، انطلقت صناعة بناء السُّفن الصِّينيَّة القديمة في مسيرة تطوُّر وازدهار حثيثة، بمرحلتين تاريخيَّتَين عاصفتين، في عهد سلالات "سوي" و"تانغ" ثمَّ "سونغ" و"يوان"، حيث شهدت تقنيات بناء السُّفن ارتقاء وتطورًا مستمرًا، وصولًا إلى عهد سلالة "مينغ"، بلغت هذه الصِّناعة ذروة مجدها وأوَّج ازدهارها، وتشكَّلت منظومة إدارة صارمة، معياريَّة وفعَّالة لبناء السُّفن، وتزامن مع ذلك قفزة نوعيَّة في تكنولوجيا الحِرف اليدويَّة لبناء السُّفن، لتصلَ إلى مكانةٍ غير مسبوقة في العالم آنذاك، ومن هذا المنطلق، قاد القائد البحري "تشنغ خه" أسطولًا بحريًّا ضخمًا ومهيبًا، مجتازًا المحيطات سبع مرَّات في ملحمة تاريخيَّة خطَّت فصلًا استثنائيًا بمداد من ذهب في تاريخ المِلاحة الصِّينيَّة القديمة.

وتخليدًا لإنجازات "تشنغ خه" العظيمة في رحلاته البحريَّة، وبموافقةٍ من مجلس الدَّولة الصِّيني، قامت وزارة النَّقل بالتَّعاون مع حكومة بلديَّة شانغهاي بتأسيس أول مُتحف بحري على مستوى الدَّولة في بلادنا ــ "مُتحف شانغهاي البحري الصِّيني"، يهدف المُتحف إلى إحياء الحضارة البحريَّة المجيدة والتَّقاليد العريقة للأُمَّة الصِّينيَّة، وبناء منصة للتَّبادل المِلاحي محليًّا ودوليًّا، وإيجاد أجواء ثقافيَّة متميِّزة تدعم مركز شانغهاي الدَّولي للشَّحن، فضلًا عن غرس حب العمل المِلاحي في نفوس الشَّباب والأجيال النَّاشئة، هنا، لا يقتصر الأمر على تتبُّع حضارتنا البحريَّة العريقة فحسب، بل يمكننا أيضًا معايشة التَّقدم الهائل في علوم وتكنولوجيا المِلاحة من الماضي إلى الحاضر، لنفتح معًا صفحات التَّاريخ لنهضة الأُمَّة الصِّينيَّة وقوتها المتنامية عبر البحار.

يوافق عام 2025م الذِّكرى السَّنويَّة الـ 620 لرحلات "تشنغ خه" البحريَّة، وابتهاجا بهذه المناسبة، تعاون "مُتحف شانغهاي البحري الصِّيني" مع "شركة دونغ تشو للنَّشر المحدودة"، وبدعمٍ كريمٍ من "شركة الصِّين لخدمات الشَّحن المحيطي المحدودة" (COSCO Shipping)، لإطلاق هذه المجموعة الموسيقيَّة المشتركة: "حكاية السَّفينة عبر الألف عام: في ركاب طريق الحرير البحري ــ موسوعة مصورة للأطفال عن تاريخ وثقافة المِلاحة البحريَّة"، تضمُّ هذه المجموعة أربعة مجلدات، تتناول المِلاحة البحريَّة في نهر التَّاريخ الصِّيني العظيم عبر أربعة محاور: بناء السُّفن، البعثات الدِّبلوماسيَّة، تكنولوجيا المِلاحة، والتَّبادلات التَّاريخيَّة، وتُجسد هذه الموسوعة تلك اليد الصَّديقة والممتدَّة الَّتي مدتها الأُمَّة الصِّينيَّة نحو العالم عبر المحيطات على نطاق واسع بعد طريق الحرير البرِّي؛ كما أنَّها شاهد على إرادة الصِّينيين وحكمتهم، وتفوقهم العالمي في تكنولوجيا المِلاحة عبر آلاف الأميال البحريَّة، وتُعبر عن روح المِلاحة الباسلة وقوتها الهائلة المتدفِّقة، إنَّ ظلال تلك الأشرعة ستفتح للقرَّاء الصِّغار نوافذ لا حصر لها لاستكشاف عالم البحار.

وأتوجَّه بخالص الشُّكر والتَّقدير لجميع الكتَّاب والرَّسامين الَّذين شاركوا في إبداع هذا العمل؛ فبفضل أقلامهم البارعة ولمساتهم السَّاحرة، دبَّت الحياة مجددًا في حكايا المِلاحة القديمة، لتنتظر قرَّاءنا الصِّغار لينطلقوا في رحلة تتأثر بها القلوب.

أمنياتنا لكل طفل يفتح صفحات هذه الموسوعة المصورة، أن يتحوَّل إلى ملاح صغير، يجد فيها معجزته الخاصة وسعادته، ويستمدُّ منها القوَّة ليمضي قُدمًا، يشقُّ الأمواج ويرفع الأشرعة في رحلة حياته المقبلة!

مُتحف شانغهاي البحري الصِّيني

مملكة ريوكيو البحريَّة

في عهدِ أسرة مينغ، كانت مدينة (فوزهو) الصِّينيَّة تتَّجه شرقًا لمسافة تزيد عن 800 كيلومتر نحو مملكة ريوكيو، وهي دولة تضمُّ جزيرة رئيسةً كبيرةً وأكثر من 30 جزيرة تابعة.

ومنذ عام 1372م في عهد هونغوو، أقامت أسرة مينغ ومملكة ريوكيو علاقة رسميَّة قائمة على نظامِ التَّنصيب وتقديم الجزية، حيث كان ملوك ريوكيو يُرسلون بعثات متكرِّرة إلى الصِّين لتقديمِ الولاء.

وصول البعثة إلى العاصمة لطلبِ منْح التَّعيين الإمبراطوري.

في السَّنة الحادية عشرة من عهد جياجينغ من أسرة مينغ 1532م، وصل إلى العاصمة الصِّينيَّة وفدٌ من مملكة ريوكيو.

كانت مَهمَّة هذا الوفد تمثيل وليِّ عهد ريوكيو شان تشينغ في طلب التَّثبيت (التَّعيين الرَّسمي) من أسرة مينغ، وكانت هذه المرَّة الثَّالثة الَّتي يتقدَّم فيها شان تشينغ بهذا الطَّلب. وقد تأثَّر الإمبراطور جياجينغ (تشو هوجونغ) بإخلاصه، فوافق على طلب التَّعيين.

وبناءً على ذلك، صدر مرسوم إمبراطوري يُعيِّن (تشن كان)، وهو موظف من رُتبة مساعد في دائرة الشُّؤون الإداريَّة، كمبعوثٍ للتَّعيين الإمبراطوري، على أن يُرافقه المبعوث المساعد غاو تشنغ لقيادة البعثةِ إلى مملكة ريوكيو.

معلومة بحريَّة:

ما هو المبعوث الإمبراطوري؟ ومن يتولى هذه المَهمَّة؟

كانت مملكة ريوكيو دولة تابعة لأسرة مينغ، وكانت أسرة مينغ تقوم بتنصيب ملوكها وَفق نظام تنصيب حكام الدُّول التَّابعة. وعند التَّعيين لا يذهب الإمبراطور بنفسه، بل يُرسل مبعوثًا إمبراطوريًّا ليمثِّله.

وعادةً ما يُختار المبعوث الرَّئيسيّ والمساعد من منصبي (المساعد في دائرة الشؤون الإداريَّة) و(الرسول الإمبراطوري)، ورُغم أنَّ رُتبتهما ليست عالية، إلَّا أنَّهما يُشغلان مناصب مُهمَّة. فالمساعدُ في دائرةِ الشُّؤون الإداريَّة يعمل قريبًا من الإمبراطور ويقوم بالنُّصح والمراقبة، بينما (الرسول الإمبراطوري) يتولى مهامَّ التَّعيين والسِّفارات في مختلفِ الجهات بأمر الإمبراطور.

من المرتبةِ السَّابعة إلى المرتبة الأولى!

كان مبعوث التَّعيين الإمبراطوري يُمثّل الإمبراطور خارج البلاطِ، لذلك كانت الدَّولةُ شديدة الدِّقة في اختياره. وكان تشن كان، الَّذي تمَّ اختياره لهذه المَهمَّة، يشغلُ منصب (مساعد في دائرةِ الشؤون الإداريَّة)، وهو من خريجي الامتحانات الإمبراطوريَّة، يتمتَّع بالعلم والأخلاق، ممَّا جعله الخيار الأمثل لهذه المَهمَّة.

بعد صدورِ المرسومِ، كان أوَّل ما قام به استلام الأمر الرَّسمي، وتجهيز الأمتعة والهدايا. ولإضفاء الهيبة على مراسم التَّعيين، منح الإمبراطور تشن كان (المبعوث الرئيسيّ) وغاو تشنغ (المبعوث المساعد) زِيَّين رسميَّين من الدرجةِ الأُولى لكل منهما.

كان زيّ (تشن كان) مزينًا بنقش (الكِيلين)، وزيّ غاو تشنغ بنقش (البيشاو)، وهذه الأزياء لا يرتديها إلَّا كبار الشَّخصيات مثل الدُّوقات والماركيز وأصهار الإمبراطور، وهي أعلى بكثير من رُتبتهما الأصليَّة.

الكِيلين (وحش أسطوري صيني رمزي)

البيه زِه (وحش أسطوري صيني يُرمز إلى الحكمة ومعرفة الأرواح).

معلومة بحريَّة:
بدل الطَّعام للمبعوثِ الإمبراطوري

إلى جانب منحِ الملابسِ الرَّسميَّة، كانت الدَّولةُ تمنح أيضًا مخصَّصات غذائيَّة لأُسر المبعوث الإمبراطوري تكفي أربعة أشخاص. وذلك تقديرًا لبُعد رحلة السَّفر وطول مدَّة غيابهم عن منازلهم، ولتوفير دعم معيشي لعائلاتهم. هذه (البَدَلات الغذائيَّة) كانت تساعد أُسر المسؤولين على العيشِ بشكلٍ أفضل، وتمنح المبعوثين راحة واطمئنانًا أثناء أداء مهامهم في الخارج.

تجمَّع الحرفيون المهرة معًا لبناءِ السَّفينة.

في طريق البحر، المِلاحة بين أسرة مينغ ومملكة ريوكيو كانت تعتمد فقط على السُّفن، وكانت (سفينة التَّعيين الإمبراطوري) سفينة خشبيَّة كبيرة صُمِّمت خصِّيصًا للرِّحلات البحريَّة الطَّويلة إلى ريوكيو، وكان أهم عمل لتشن كان وغاو تشنغ في هذه المرحلة هو الإشراف على بناء هذه السَّفينة.

كانت تُبنى عادةً في أحواضِ بناء السُّفن في فُوجو، وبسبب طول الرِّحلة وخطورة البحر، كانت معايير بنائها صارمة جدًّا: يجب أن تكون قادرةً على حملِ أوزانٍ كبيرة، وتتمتَّع بقدرةٍ عاليةٍ على الإبحار، إضافةً لكونها ضخمة وجميلة لإظهار هيبةِ الدَّولة.

وبعد ما يقاربُ عامًا كاملًا، اكتمل بناء السَّفينة أخيرًا. كانت ذات قاعٍ مدبَّب، ومقدِّمتها ومؤخِّرتها مرتفعتان للأعلى، ولها خمسة صواري شاهقة. هذا النوع من السُّفن يتميز بغاطسٍ عميق، ممَّا يُقلِّل مقاومة الماء في الأعماق ويجعله مناسبًا جدًّا للمِلاحة البعيدة، كما أنَّه مستقر لدرجة أنَّ الرَّاكب قد لا يشعر بأنَّه على متن سفينة.

معلومة بحريَّة:
ما مدى جودة وإتقان سفينة التَّنصيب؟

كانت سفينة التَّنصيب بطول حوالي 50 مترًا، وعرض 8.7 مترًا، وعمق 4.3 مترًا، وتحتوي على 23 مقصورة، مع وجود قاعةٍ ملكيَّة بطابقين في المؤخِّرة، إضافةً إلى ألواح حماية لمواجهةِ الأمواج.

كما كانت المواد مختارة بعناية شديدة: الصَّواري من خشب السَّرو الخفيف والمستقيم، والدَّفَّة من خشبٍ صلبٍ متين، والعارِضة الرَّئيسة من خشب الصَّنوبَر المقاوم للماء.

أنا حِرفيٌّ من (فوزهو)، ومسؤولٌ عن تصميم شكل هيكل السَّفينة.

أنا حِرفيٌّ من تشانغتشو، ومسؤولٌ عن بناء السَّفينة لتكون قويَّة ومتينة.

التِّجارة المؤثِّرة في مهامِّ التَّعيين الإمبراطوري

إلى جانب مَهمَّة التَّعيين، كان تشن كان وغاو تشنغ مسؤولين أيضًا عن تعزيز التِّجارة بين البلدين.

قبل الرِّحلة، كانا يسجِّلان ويُحصيان بدقةٍ ما سيتم نقله إلى مملكة ريوكيو، وخاصة منتجات أسرة مينغ.

قال تشن كان: (كانت البعثات السَّابقة تحمل غالبًا الخزف والورنيش والحرير، فما الَّذي سنأخذه هذه المرَّة؟).

فأجاب غاو تشنغ: (بما أنَّ موارد ريوكيو محدودة وصناعاتها متأخِّرة، يمكننا أن نحملَ المزيد من المستلزمات اليوميَّة لمساعدتهم على تحسينِ حياتهم).

فقال تشن كان: (التَّبادل بين البلدين مهمٌّ جدًّا، فلنأخذ أيضًا أنواعًا مختلفة من الخزف، والحِرف اليدويَّة، والمنسوجات).

السِّلع الَّتي كانت أسرة مينغ تنقلها إلى مملكة ريوكيو كانت تشمل:

الخزف (السِّيراميك)

أوعيةٌ خزفيَّة ذات أرضيَّة بيضاء وزخرفة زرقاء، مثل الأطباق والأكواب الزَّرقاء الكبيرة والصَّغيرة، والأوعية الصَّغيرة الزَّرقاء.

ومن أهم الأشكال: الأوعية (الصُّحون العميقة)، والأطباق، والجرَّار، والكؤوس ذات القاعدة المرتفعة، وأصص الزُّهور، والمباخر.

الحِرَف اليدويَّة (المشغولات الفنيَّة)

أطباقٌ مطليَّة بالورنيش، وكؤوس مطليَّة بالورنيش، وغيرها (كان عهد أسرة مينغ العصرُ الذَّهبي لتطوّر فنِّ الورنيش، حيث تميَّزت منتجاته بكثرة الإنتاج، ودقة الصُّنع والتَّنوع).

المنتجات الثَّقافيَّة

حبَّار (هويتشو) المزخرف بتصميم التِّنين، وحبَّار هويتشو الكبير، وأقلام الخطِّ من مدينة هوتشو/هو تشو في تشجيانغ (الَّتي شهدت تطوُّرًا سريعًا في عهد أسرة مينغ وانتشرت على نطاقٍ واسعٍ)، ومراوح هانغتشو الذَّهبيَّة وغيرها.

المنسوجات (الأقمشة).

السَّاتان الأزرق، والسَّاتان البسيط بأنواعه المختلفة، وأنواع متعدِّدة من الشِّيفون/الحرير الخفيف، وأنواع مختلفة من الشَّاش، ومناشف قطنيَّة مزخرفة مصبوغة، ومناشف حريريَّة ملونة وغيرها.

تمَّ تجهيز مواد الرِّحلة البحريَّة!

إلى جانب مواد التِّجارة بين البلدين، تمَّ تجهيز مستلزمات الحياة، وموادِّ الطَّوارئ، وأدوات المَراسِم، وأسلحة للحماية أثناء الطَّريق.

وقبل الإبحار، قام تشن كان وغاو تشنغ بتفقُّد السَّفينة والتَّأكد من كل شيء.

أخذ (تشن كان) حبل السَّفينة الموجود على سطحِها وبدأ يفحص جودته بعناية، وعندما رأى مِدفعين قويَّين قال راضيًا: (بهما يمكننا الاطمئنان).

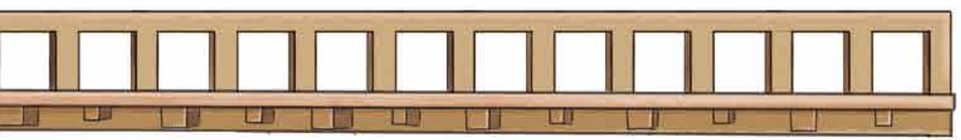

ثمَّ ذهب إلى مخزن موادِّ الطَّوارئ، وأشار غاو تشنغ إلى بعض الأدوات الزِّراعيَّة قائلًا: (هذه الأدوات تُستخدم للنَّجاة عند التَّعرُّض لحادثٍ في البحر أو عند الوصول إلى جزيرةٍ معزولة، ونأمل ألَّا نحتاجها في هذه الرِّحلة.

وفي خضمِّ الانشغال، اقترب أحد الجنود وهمس في أذن تشن كان ببعض الكلام، فأجاب بجديَّة: (أصدِروا أمرًا: لمنع زيادة الحمولة، لا يُسمح لأي شخص على السَّفينة بحمل أكثر من 100 جين من الأمتعة الشَّخصيَّة).

أدوات المراسم

لا بد من توفُّر الأدوات الرمزيَّة الَّتي تعكس هيبة الدَّولة، مثل المِظلة الصَّفراء، والأعلام التِّنينيَّة، ولوحة المبعوث الإمبراطوري، والمِظلات، والمراوح عند لنصيب الملك الجديد.

مستلزمات الحياة اليوميَّة

لا بد من توفير الطَّعام،الماء، والحبوب، واللُّحوم، إضافةً إلى الشَّاي، وغيرها من المستلزمات الضروريَّة للحياة.

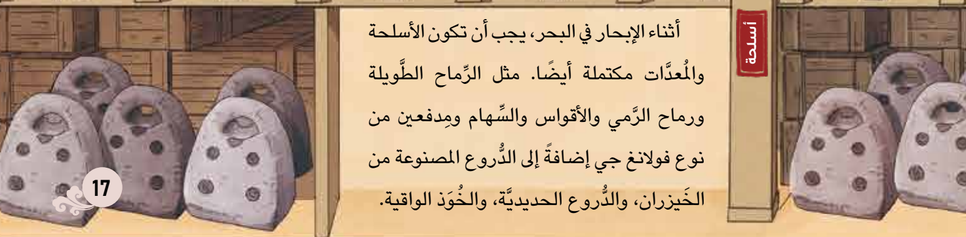

أسلحة

أثناء الإبحار في البحر، يجب أن تكون الأسلحة والمُعدَّات مكتملة أيضًا. مثل الرِّماح الطَّويلة ورماح الرَّمي والأقواس والسِّهام ومِدفعين من نوع فولانغ جي إضافةً إلى الدُّروع المصنوعة من الخَيزران، والدُّروع الحديديَّة، والخُوَذ الواقية.

مستلزمات الحياة اليوميَّة - مواد الطوارئ:

لا بد من حملِ الحبال، والمراسِي الحديديَّة، وزيت التَّونغ، والحشوات القطنيَّة، والحبال القديمة تحسُّبًا لأي طارئ.

أفراد الدَّعم اللُّوجستي.

كانت بعثة التَّعيين الإمبراطوري الكبيرة تستعدُّ للإبحار، وقد تجمَّع أفرادها في الميناء في مشهدٍ مزدحمٍ يضم مئات الأشخاص. إلى جانب المبعوثين الرَّئيسيين والمساعدين والمسؤولين عن مراسم التَّعيين، كان هناك العديد من العاملينَ ذوي المهامِّ المختلفة. ومن بين أكثر من 140 من طَاقم السَّفينة، كان هناك من يقود الإبحار (رئيس المِلاحة)، ومن يتحكَّم في اتجاه السَّفينة (الرُّبَّان)، ومن يُدير الأشرعة، ومن يتولَّى رُسُوَّ السَّفينة، وغيرهم.

أشار (تشن كان) إلى شابٍ وقال لغاو تشنغ: (هذا هو شيه دون تشي، وقد جلبتُه خصِّيصًا من تشانغتشو ليكون رُبَّانًا، فهو منذ صغره مرتبط بالبحر ولديه خبرة كبيرة).

وكان الجنود المرافقون يصطفُّون لتشكيلَ قوة الحماية للبعثةِ، وهم أيضًا سيقومون لاحقًا بدور حرس المراسِم عند الوصول إلى ريوكيو، كما كان الخدم والطُّهاة والكَتَبة والأطباء وغيرهم من أفراد الدَّعم اللُّوجستي موجودين أيضًا، وكل منهم له دور محدَّد يضمن سير الحياة على السَّفينة بشكلٍ منظمٍ.

وكان من بينهم المترجمون والأطباء الرَّسميون (بقسمَي الطِّب الباطني والجراحة)، والكَتَبة، والخيَّاطون، والحدَّادون، والطُّهاة، وأفراد الطُّقوس والمراسم، وغيرها من التَّخصصات.

الجنود المرافقون

وكان من بينهم قادةً عسكريون مثل قائد الألف، وقائد المئة، وضباط الباتزونغ، وكانوا يتولَّوْنَ مسؤوليَّة حماية سلامة البعثة.

طَاقم تشغيل السَّفينة (الملَّاحون).

كان من بينهم رئيس المِلاحة (المسؤول الرَّئيسيُّ أثناء الإبحار)، والرُّبَّان، وعمال الأشرعة، وغيرهم، وكان معظمهم من مدينة تشانغتشو. وكان بحَّارة تشانغتشو يعيشون على البحر، ويتمتَّعون بخبرةٍ عاليةٍ ومهاراتٍ مُتقنة، إضافةً إلى قدرتهم على تحمُّل الصِّعاب والعمل الشَّاق.

معلومة بحريَّة:
أين كان يعيش طَاقم السَّفينة؟

تتميَّز سفينة التَّعيين الإمبراطوري بمساحة داخليَّة كبيرة، حيث تُقسَّم بواسطة حواجز إلى عدَّة حجرات يتراوح عددها عادةً بين 23 و28 حجرة. وتتكوَّن هذه الحجرات من ثلاث طبقاتٍ من قاع السَّفينة حتَّى سطحها: في الطَّبقة السُّفلى تُوضع الحجارة أو الأثقال كحمولة موازنة للحفاظ على استقرار السَّفينة، أما الطَّبقة الوسطى فهي حجرة المسؤولين، حيث يأكل أفراد البعثة ويستريحون. وعلى الجانبين توجد طبقتان إضافيَّتان مخصَّصتان لمرافقيهم والخدم، وفي بعض الأحيان كان يسكن في الحجرة الواحدة نحو 30 شخصًا.

معلومة بحريَّة:
الإبحار باستخدام الرِّياح

وفقًا للتَّقليد، كانت بعثة التَّعيين الإمبراطوري عند ذهابها إلى مملكة ريوكيو تعتمد على رياح الجنوب الغربي في فصل الصَّيف، بينما تعتمد عند العودة على رياح الشَّمال الشَّرقي في فصل الشِّتاء.

والسَّبب هو أنَّ السَّواحل في مقاطعتي فوجيان وريوكيو تقع ضمن منطقة الرِّياح الموسميَّة، حيث تهبُّ في الشِّتاء رياح شماليَّة شرقيَّة قويَّة، بينما تسود في الصَّيف رياح جنوبيَّة وخاصَّة جنوبيَّة غربيَّة، ممَّا يساعد السُّفن على الإبحار بسهولة والاستفادة من قوَّة الرِّياح في الاتِّجاهين.

بدأ الإبحار!

صعد أفراد البعثة إلى السَّفينة بشكل منظَّم، وتمركز البحَّارة في مواقعهم المحدَّدة وهم في حالة استعدادٍ كاملٍ. وقف تشن كان وغاو تشنغ عند مؤخِّرة السَّفينة يودِّعان المسؤولين في فوجيان الَّذين حضروا لتوديعهم، وكانت سفينة التَّعيين الإمبراطوري ستنطلق من فُوجو، وهي مقر هيئة الشَّحن البحري في فوجيان والميناء الوحيد المؤدِّي إلى مملكة ريوكيو.

أصدر رئيس الملاحة الأمر، فبدأ جميع البحَّارة بالتَّحرُّك. قام عمال المرساة برفع الحديد، وتحت توجيه عمال الأشرعة تمَّ نشر الأشرعة المصنوعة من الخَيزران، لتبدأ السَّفينة بالإبحار ببطء فوق الأمواج نحو الأفق البعيد.

وبينما كان ينظرُ إلى البحر الواسع أمامه، كان في عيني (تشن كان) مزيج من الأمل والقلق، وقال: السِّجلات الخاصَّة بالبعثات السَّابقة إلى ريوكيو ضاعت في معظمها، ولا توجد مصادر كافية نرجع إليها، ممَّا يجعل الطريق أمامنا غير واضح.

فأجابه غاو تشنغ فورًا مؤيدًا: (صحيح تمامًا، لذلك بعد عودتنا بسلام، يجب أن نُوثِّق المعلومات).

كشف أسرار الطَّعام في البحر

كان (تشن كان) يهتم بتأمين الطَّعام والشَّراب اليومي لمئات الأشخاص أثناء الإبحار. وبما أنَّ معظم أفراد الطَّاقم من سكان الجنوب، فإن الأَرُزَّ باعتباره الغذاء الأساسي كان يُحضَّر بكمياتٍ كافية.

كما كان أفراد الدَّعم اللُّوجستي يحملون أوعية الزَّنجبيل الطَّازج وأنواع مختلفة من الخضروات لتزويد البحَّارة بالفيتامينات الضَّروريَّة.

وعلى متن السَّفينة أيضًا دجاجات وبطَّات حيَّة تُربَّى داخل حظائر خاصَّة، وكانت تُعدُّ المصدر الرَّئيسيّ للُّحوم الطَّازجة أثناء الرِّحلة.

إلى جانب الطَّعام، كانت مياه الشُّرب مشكلة أساسيَّة على السَّفينة. كان البحَّارة يحصلون على الماء في طابورٍ باستخدام دلاءهم وبطاقات خاصة، وبكميات محدودة ومنظَّمة. وكان المسؤول يؤكد أنَّ تقنين المياه ضروري لأنها ثمينة جدًّا في البحر لضمان سلامة الرِّحلة.

معلومة بحريَّة:
كيف يتم تخزين المياه العذبة على السَّفينة؟

يمكن تخزين المياه العذبة على السُّفن في براميل أو خزَّانات خشبيَّة كبيرة تُثبَّت في أسفل السَّفينة، وفي الرِّحلات الطَّويلة تُستخدم أيضًا سفن أو خزاناتٍ خاصة لنقل الماء. وكانت المياه تُدار بحذرٍ شديد ويُسمح باستخدامها أساسًا للشُّربِ والطَّهي فقط.

حياة بحريَّة متنوِّعة وممتعة

كانت حياة أفراد البعثة في البحر مليئة بالأنشطة؛ فالبحَّارة يصطادون السَّمك، والموسيقيون يعزفون الألحان، والطُّهاة يعدُّون الطَّعام لمئات الأشخاص، وصُنَّاع الحلويات يُجهِّزون أشهى المأكولات، ممَّا جعل الحياة على متن السَّفينة أكثر متعة وراحة أثناء الرِّحلة.

معلومة بحريَّة:
رُفقاءُ على متْنِ السَّفينة

لجعل الحياة البحريَّة أكثر متعة، كان يُرافق البعثة أشخاص موهوبون في الخطِّ والرَّسم والشَّطرنج والموسيقى. يتبادلون الخبرات ويتنافسون في الألعاب ويُقدِّمون العروض الموسيقيَّة، ممَّا أضفى أجواءً ممتعة على الرِّحلة.

رِعَايَةُ الْمَرْضَى

كانت الرِّحلة بالسَّفينة في فصل الصَّيف، وكان الجوُّ حارًا، والشَّمس قويَّة، كما أنَّ مكان المعيشة في السَّفينة ضيقًا ومزدحمًا. مع الوقت، أُصيب عددٌ كبير من الناس بـدُوار البحر وضربة الشَّمس. فشعر (تشن كان) بالقلق، وطلب من الطَّبيب أن يعالجَ الجميع قدْر استطاعته. اقترح قائد السَّفينة شيه دون تشي أن يبنوا مِظلَّات على سطح السفينة، حتى يجلس النَّاسُ في الظلِّ ويستمتعوا بنسيم البحرِ دون التَّعرض للشَّمس. أُعجب (تشن كان) بالفكرة، وأمر فورًا ببناء المِظلَّات.

ثمَّ لاحظ (قاو تشنغ) أنَّ جِسم شيه دون تشي فيه جروح كثيرة. وعرف أنَّ ماء البحر كان يضربُ جسمه باستمرار أثناء قيادته للسَّفينة، ممَّا سبَّب له هذه الجروح. لذلك طلب من الطَّبيب (وو نيان سان) علاجه. أعدَّ الطَّبيب العسل وبعض الأعشاب الطِّبِّيَّة مع شرابٍ خفيف، ثمَّ جعل (شيه دون تشي) يستحمُّ في هذا الماء الدَّوائي. وكان العلاجُ فعَّالًا جدًّا، فَشُفِيَ في يومٍ واحدٍ.

طرد الرِّياح وتخفيف الألم والبرد وتقوية الدَّم وتنشيط الدَّورة الدَّمويَّة وتخفيف الألم.

في فصل الصَّيف، كان الحرّ على البحر شديدًا لا يُحتمل، كما كانت غرف السَّفينة رطِبة ومكتظَّة، ممَّا يجعل الناس أكثر عُرضة لضربة الشَّمس، وتشمل أعراضها ارتفاع حرارة الجسم، الصُّداع، الإغماء، والتَّعرّق الشديد.

الأشخاص الَّذين لا يعتادون ركوب السُّفن قد يصابون بدُوار البحر بسبب اهتزاز السَّفينة أثناء الإبحار، وتظهر عليهم أعراض مثل الغثيان، القيء، الدُّوخة، وضعف عام في الجسم.

الطلَّاب الَّذين «يُبحرون مع الرِّياح والأمواج»

أثناء الرِّحلة، كان (تشن كان) و(قاو تشنغ) يتحدَّثان مع مسؤول في سفينة مملكة ريوكيو.

قال لهما الرَّجلُ:

«في السنوات الماضية، ذهب كثيرٌ من طلَّاب ريوكيو إلى الصِّين في عهد أسرة مينغ للدِّراسة. وتعلَّموا هناك مهارات كثيرة، مثل الزِّراعة، ونحت الحجر، وحساب التَّقويم، وصناعة الألعاب النَّارية، وبناء السُّفن وغيرها».

وبفضل هؤلاء الطلَّاب، أصبح إنتاج الحبوب والخضروات في ريوكيو أفضل، وأصبحت السُّفن أقوى وأكثر متانة، وتحسنَّت حياة النَّاس أيضًا.

وأصبحت بيوتنا، وعاداتنا وآدابنا تُشبه كثيرًا ما هو موجود في الصِّين.

فأصبحَ هؤلاء الطلَّاب جسرٌ للتَّواصل والتَّبادل بين البلدين!

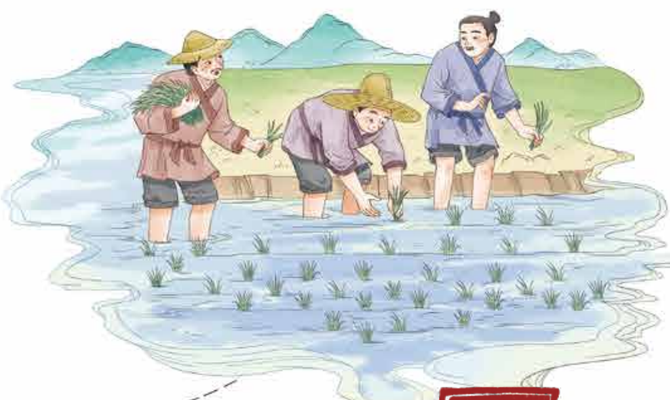

تقنيات زراعة المحاصيل

قام الطُّلاب المبتعثون بإعادة التِّقنيات الزِّراعيَّة المتقدِّمة في عهد أسرة مينغ إلى مملكة ريوكيو، مثل زراعة الحبوب والخضروات، وكذلك الأدوات الزِّراعيَّة، ممَّا ساهم في زيادة إنتاج المحاصيل الزِّراعيَّة في ريوكيو.

تكنولوجيا صناعة السُّفن

كان حجم صناعة السُّفن في عهد أسرة مينغ كبيرًا وتقنياتها متقدِّمة، لذلك كانت مملكة ريوكيو تقوم بإصلاح السُّفن وبنائها في مناطق مختلفة من فوجيان، كما كانت تموِّل بناء السُّفن وشرائها، ممَّا أدَّى تدريجيًّا إلى نقل تقنيات بناء السُّفن إلى ريوكيو.

معلومة بحريَّة:
مذكِّرات الدِّراسة في عهد أسرة مينغ

كانت مملكة ريوكيو ترسل طلابًا إلى الصِّين مع بعثاتٍ رسميَّة للدِّراسة في عهد مينغ لمدة 3–5 سنوات. وكانوا نوعين: طلاب رسميون تمولهم الدَّولة، وآخرون على نفقتهم الخاصَّة وغالبًا من الأسر الغنيَّة.

صناعة الألعاب الناريَّة (تصنيع المفرقعات)

كانت الألعاب الناريَّة في عهد أسرة مينغ تُصنع من موادٍ مثل النتر (الملح الصَّخري) والكبريت والجير.

الحساب الفلكي للتَّقويم

كان تقويم (دا تونغ لي) هو التَّقويم الرَّسمي في عهد أسرة مينغ، وهو أطول التَّقاويم التَّقليديَّة استخدامًا في تلك الفترة، وكان أيضًا أداة مهمَّة للتَّواصل والدِّعاية الخارجيَّة.

فنون نحت الحجر

كانت تقنيات نحت الحجر في عهد أسرة مينغ تُستخدم على نطاقٍ واسع في المباني مثل المنازل والمعابد والأكشاك والأبراج والبوابات. وكانت الزَّخارف تشمل الأزهار والطُّيور، واللُّوتس، والفاوانيا، والأسود، والغزلان وغيرها من الأشكال.

معلومة بحريَّة:
ما هو مَبنى الملائكة؟

يتميَّز مبنى التَّنْشي من حيث الشَّكل والتَّخطيط بدقة وتنظيم. يبدو في تصميمه مثل مكاتب الحُكم (الدَّوائر الحكوميَّة) في عهد أسرة مينغ، ويحيط به سياجٌ خارجي. داخل السِّياج توجد عند البوابتين الشَّرقيَّة والغربيَّة أربع غرف في كل جهة. وعلى أعمدة خارج المبنى ترفرف رايات صفراء ترمز إلى (التَّنصيب الرَّسمي)، وتمنحه مظهرًا مهيبًا.

كان هذا المبنى يؤدي وظائف دبلوماسيَّة وتجاريَّة متعددة، ويُعدُّ شاهدًا مهمًا على علاقات الصَّداقة والتَّبادل بين الصِّين ومملكة ريوكيو.

الوصول والنُّزول إلى مملكة ريوكيو.!

بعد أكثر من 20 يومًا من الرِّحلة، وصلت سفينة الوفد إلى ميناء ناها في لاحظ (تشن كان) أنَّه مكتوب على الشَّاطئ «مرحبًا بكم .. أهلاً بالضيوفِ الكرام». وكان المسؤولون ينتظرونهم هناك.

وبعد أن أدَّى المسؤولون مراسم الاستقبال، ذهب الجميع إلى مقر المبعوثين، حيثُ كان الوفد يُقيم ويُتاجر مع أهل ريوكيو.

بدأت مراسم التَّنصيب!

في يوم التَّنصيب خيَّم جَوٌّ من الهيبة والوقار على المدينة داخل الأسوار وخارجها. ذهب تشين كان مع بعثة التَّنصيب، والتقى بالمسؤولين من ريوكيو الَّذين كانوا ينتظرون قرب المبنى، ثمَّ توجَّهوا جميعًا إلى القاعة الرَّئيسة الفخمة في القصر الملكي.

على طول الطَّريق كانت مواكب المراسم تسير بالرَّايات المرفوعة والأجراس والزِّينات. وبعد وقت قصير بدأت مراسم التَّنصيب رسميًّا.

في القاعة الرَّئيسة وُضع (العرش التَّنصيبي) الَّذي يحمل مرسوم الإمبراطور في الوسط، وأدَّى الجميع الطقوس بشكل منظم. أمَّا وليّ العهد فقام وحده بطقوس خاصَّة مثل الرَّقص والدُّعاء. وبعد انتهاء المراسم، ظهر بصفته الملك الجديد أمام الوزراء، ويُعتبر ذلك اليوم بداية حكمه الرَّسمي للبلاد.

إنجاز كتاب (سِجِلُّ إرسال إلى ريوكيو!)

في سبتمبر، ومع هبوب الرِّياح الشماليَّة الشرقيَّة، عادت بعثة التَّنصيب الَّتي بقيت أكثر من ثلاثة أشهر في ريوكيو إلى بلاد مينغ لتقديم تقريرها.

وقد استفاد تشين كان كثيرًا من هذه الرِّحلة، فكتب بعد عودته بوقت قصيرٍ كتابه (سجلُّ إرسال إلى ريوكيو)، الَّذي دوَّن فيه بالتَّفصيل رحلته منذ اختياره كمبعوث للتَّنصيب وحتَّى جميع تفاصيل رحلته إلى ريوكيو، ليترك خبرة ثمينة للأجيال اللَّاحقة. ويُعدُّ هذا الكتاب أوَّل عمل صيني يصف أعمال التَّنصيب بشكلٍ مفصَّل.

وبعده، بدأ العديد من مبعوثي التَّنصيب الآخرين في تدوين رحلاتهم، ممَّا وفَّر مصادر تاريخيَّة مهمَّة في تاريخ الملاحة البحريَّة الصِّينيَّة القديمة.

سجلُّ الأحداث المهمَّة لبعثات التَّنصيب إلى مملكة ريوكيو في عهدي أسرتي مينغ وتشينغ .

في عام 1372م (عهد هونغوو)

بدأت أوَّل علاقة رسميَّة بين ريوكيو وأسرة مينغ عبر نظام دفع الجزية. أرسل الإمبراطور تشو يوانتشانغ مبعوثًا يُدعى يانغ زاي إلى ريوكيو، وفي ديسمبر من نفس العام قدَّمت ريوكيو أوَّل بعثة إلى الصِّين، وهو ما يُعد بداية العلاقات الرَّسميَّة بين الجانبين.

في السَّنة الخامسة من عهد هونغوو في أسرة مينغ (1372م)

أصبحت علاقة دفع الجزية بين الصِّين ومملكة ريوكيو علاقة رسميَّة ومنظَّمة.

ومنحت أسرة مينغ لمملكة ريوكيو تقويم (الداتونغ لي)، وهو ما يرمز إلى اعتراف الدَّولة الصِّينيَّة بشرعيَّة حُكم ملك ريوكيو.

في عام 1392م (عهد هونغوو)

أرسل إمبراطور مينغ 36 عائلة من فوجيان الماهرة في الإبحار إلى ريوكيو لتسهيل التَّواصل بين البلدين، وكانت أوَّل هجرة منظَّمة من الحكومة الصِّينيَّة إلى الخارج لتعزيز العلاقات البحرية

في عام 1392م (عهد هونغوو)

بدأت مملكة ريوكيو بإرسال طلابٍ إلى الصِّين كدارسين، حيث أُوفد عدد من الشَّباب للدِّراسة في أكاديميَّة الإمبراطوريَّة (غووزيجيان)، ممَّا أسَّس لبداية تقليد ابتعاث طلاب ريوكيو إلى الصِّين.

في السَّنة الثَّانية من عهد يونغله عام 1404م

قامت أسرة مينغ بأوَّل عمليَّة رسميَّة لتنصيب ملك ريوكيو.

أُرسل المبعوث الرَّسمي شي تشونغ كقائدٍ للبعثة إلى ريوكيو لتنفيذ مراسم التَّنصيب، ويُعدُّ ذلك بداية النِّظام الرَّسمي لتنصيب ملوك ريوكيو من قِبل أسرة مينغ.

في السَّنة الثَّالثة عشرة من عهد جياجينغ (1534م)

تمَّ إرسال (تشين كان) وغاو تشينغ كبعثة لتنصيب ملك ريوكيو.

كان (تشين كان) المبعوث الرَّئيسيّ، وغاو تشينغ نائبًا له، وقد أُوفدا إلى ريوكيو لأداء مهمَّة التَّنصيب. كما كتب تشين كان كتابه (سجلُّ إرسال إلى ريوكيو)، الَّذي يُعد أوَّل وثيقة تفصيليَّة تُوثِّق شؤون التَّنصيب.

في السَّنة السَّادسة من عهد تشونغتشنغ (1633م)

قامت أسرة مينغ بأحدث وأخر بعثة لتنصيب ملك ريوكيو.

أُرسل (دو سانتسيه) كمبعوثٍ رئيسيٍّ، (ويانغ لون) كمساعدٍ له، في مهمَّة رسميَّة إلى ريوكيو، وكانت سفينة التَّنصيب المستخدمة في هذه البعثة أكبر سفن التَّنصيب في المصادر التَّاريخيَّة.

في السَّنة الأولى من عهد كانغشي (1662م)

قامت أسرة تشينغ بأوَّل عمليَّة رسميَّة لتنصيب ملك ريوكيو.

أُرسل تشانغ شيوبلي كمبعوثٍ رئيسيٍّ، مع أحد موظفي إدارة المبعوثين كمساعد له، في بعثة رسميَّة إلى ريوكيو لأداء مراسم التَّنصيب.

وأُرسل وانغ قاي كمبعوثٍ نائب، في بعثة رسميَّة إلى مملكة ريوكيو.

في السَّنة الثَّامنة من عهد تشنغهوا (1472م)

أصبحت مدينة فوزهو الميناء الرَّسمي الوحيد للتَّعامل مع مملكة ريوكيو. تمَّ نقل إدارة الميناء المختصَّة بشؤون الجزية والتِّجارة الخارجيَّة (السِّيبوشي) من ميناء تشوانتشو إلى ميناء فوزهو، ومنذ ذلك الوقت أصبحت فوزهو المنفذ الرَّئيسيَّ المباشر للتَّواصل بين أسرة مينغ ومملكة ريوكيو.

إنشاء نظام الجزية في السَّنة الثَّامنة والعشرين من عهد الإمبراطور كانغشي في أسرة تشينغ (1689م)

سمحت حكومة أسرة تشينغ بإعفاء سُفن مملكة ريوكيو المخصَّصة لجلب الجزية من الضَّرائب، كما زاد عدد أفراد بعثات الاستقبال إلى 200 شخص.

في السَّنة الخامسة من عهد تونغتشي (1866م)

قامت أسرة تشينغ بآخر عمليَّة لتنصيب ملك ريوكيو.

أُرسل تشاو شين كمبعوثٍ رئيسيٍّ من أكاديميَّة هانلين، ومعه يو غوانغجيا كمساعد، في بعثة رسميَّة إلى ريوكيو لأداء مراسم التَّنصيب.

مُذَكِّرات رحلة سفِينة التَّتويج

تَعزِيزُ الثَّقافة البحريَّةِ ونشرُ الحضَارة الصِّينيَّة

978-614-495-733-2

DIGITAL FUTURE
المستقبل الرقمي